﴿۞رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١﴾ [يوسف: 101]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقالُ من ذِكرِ النِّعم الدُّنيويَّة إلى رجاءِ النِّعم الأخرويَّة

بعد أن حَمِدَ يوسف ﷺ ربَّه على لطفه ونعمِه باجتماعه بأبويْه وإخوته، وما منَّ الله به عليه مِنَ النُّبوة والمُلك، وهي نِعمٌ "استوجبت من يوسف إعلان شكر الله تعالى على نعمِه عليه، من العِلم والمُلك، وطلب من الله تعالى أن يتولّاه في الدّنيا والآخرة، وأن يتوفّاه مسلمًا؛ أيْ: مطيعًا لله، غيرَ عاصٍ، وأن يُلحقه بالصّالحين من آبائه الأنبياء"[1]، فهو انتقالٌ من خطابِ الوالد بما مَنَّ الله عليه، إلى الدُّعاء بما يحبُّ أن يكون عليه في الدّارِ الحقيقيَّة الباقية.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡمُلۡكِ﴾: (ملك): أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيْءِ وصِحَّةٍ. يُقالُ: أمْلَكَ عَجينَهُ: قَوَّى عَجْنَهُ وشَدَّهُ. ومَلَّكْتُ الشَّيْءَ: قَوَّيْتُهُ، والأصْلُ هذا. ثُمَّ قيلَ مَلَكَ الإنسانُ الشَّيءَ يَمْلِكُهُ مَلْكًا. والاسمُ: المِلْكُ؛ لأنَّ يَدَهُ فيهِ قَويَّةٌ صَحيحَةٌ[2]، والمُلْكُ: الحقُّ الدّائم لله؛ فلذلك قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: 26]، فالمُلْك ضَبْطُ الشَّيء المُتصرَّف فيه بالحكم، والمِلْكُ كالجنس للمُلْكِ، فكلّ مُلْك مِلْك، وليس كلّ مِلْك مُلْكًا[3]، والمُرادُ بالمُلْكِ في الآية: التَّصَرُّفُ العَظيم

(1) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 13/72.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (ملك).
(3) الرّاغب، المُفردات: (ملك).

الشَّبيه بِتَصَرُّفِ المَلِكِ، إذْ كان يوسُفُ ﷺ هو الَّذي يُسَيِّرُ المُلْكَ بِرَأْيِهِ[1].

2) ﴿فَاطِرَ﴾ أصلُ (فطر): يَدُلُّ على شقٍّ شَيءٍ وإبرازِهِ[2]. يُقال: فطَرَ البِئرَ، يَفطُرها، فطْرًا؛ أيْ: شَقَّها وحَفَرَها. والفَطْرُ: الخَلْقُ والإنشاء، يُقالُ: فطَرَ اللّه الخَلْقَ؛ أيْ: خَلَقَهُم وأنشأهُم، وهو إيجاده الشَّيء وإبداعه على هيئة مترشّحة لفعل من الأفعال، فقوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الرّوم: 30]، إشارة منه تعالى إلى ما فَطَرَ؛ أيْ: أبدع وركَّز في النّاس من معرفته تعالى[3]. والفاطِرُ: فاعِلُ الفَطْرِ، وهوَ الخَلْقُ، وفيهِ مَعْنَى التَّكَوُّنِ سَريعًا؛ لأنّه مُشْتَقٌّ مِنَ الفَطْرِ وهوَ الشَّقُّ كما ذَكَرنا[4]. والمقصود بالفاطر في الآية: الخالِقُ، وفاطِرُ السَّماواتِ والأرْضِ فاطِرٌ لِما تَحْتَوي عليهِ.

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

إتمام أمرِ الله تعالى وإكرامُه لنبيِّه يوسف ﷺ

قال يوسف بعد اجتماعه بأبويْه وإخوته: ربّ قد أعطيتني مُلك مصر، وجعلتني حاكمًا مطلقَ التّصرُّف فيها دون منازع ولا معارض ولا حاسد. روي أن يوسف ﷺ أخذ بيد يعقوب ﷺ، وطاف به في خزائنه، فأدخله خزائن الذّهب والفضّة، وخزائن الحُليّ، وخزائن الثّياب، وخزائن السّلاح، فلمّا أدخله خزائن القراطيس، قال: يا بني ما أغفلك! عندك هذه القراطيس، وما كتبتَ إليّ على ثمان مراحل، قال: نهاني جبريل ﷺ عنه"[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/59.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فطر).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المُفردات، وابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: (فطر).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 22/249.
(5) الزّحيليّ، التّفسير المنير: 13/72.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيّ:

علَّة الفصل في: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى﴾:

قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ لا محلَّ له من الإعراب، لأنَّه مستأنفٌ استئنافًا بيانيًّا، ومن هنا فُصل عن سابقه، كأنَّه قيل: فماذا كان من شأن يوسف ﷺ بعد أن ذَكر إنعامَ الله عليه؟ فجاء الجواب: لجأ إلى ربِّه فذَكَر ما ذكَر؛ ففُصلت لشبه كمال الاتِّصال.

نفسٌ مُطمئنَّة مُقرَّةٌ بالإنعام

نكتةُ حذفِ أداةِ النِّداء:

حُذفت أداةُ النِّداء من قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ لما في النِّداء مِنَ اللُّطفِ، ولما في الخطابِ مِنَ العطفِ، ولما في استحضار النّفس من معاني الجلالِ والكمال والجمال، فإنَّه يُنادي الله تعالى نداءَ الخَفيّ النَّقيّ، لا سيَّما أنَّ النِّداء قد جاء بعد ذِكْر النِّعم العظيمة، والآلاء الجسيمة، فإنَّ النفس في طُمأنينةٍ، والقلب في سكونٍ.

رُبَّ حذفٍ أبلغُ من ذِكْرٍ، ورُبَّ ذِكْرٍ في ثنايا الحذفِ

نكتة حذف ضمير المُتكلِّم:

حُذف ضمير المُتكلِّم المُضاف إليه في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾، والأصل: (ربّي)، وذلك اختصارًا وإيجازًا للتّخفيف؛ فحذَف الضّمير إشارةً دالَّةً على ما أراده يوسف ﷺ بأوجز عبارة في كونه أسرع لإنجاز مُراده، وحذَفها تخفيفًا لكونه ﷺ حاضرًا في ذهنه، فهو ربُّه الَّذي لا يغيب عنه، فقد رعاه وحفظه وصانه، وألقى زمام ستره ورحمته عليه، ولما فيها من معنى المحبَّة والشَّفقة والدُّعاء.

من تمامِ إضمارِ الـفـرح إخـفـاء الحروف

دلالة حرف التَّحقيق ﴿قَدْ﴾:

افتتح يوسف ﷺ نداءه بحرف التَّحقيق ﴿قَدْ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾؛ "لأنَّ الحال حالُ توقُّع السّامع لشرحِ مآل الرّؤيا"[1]، ومجيء ﴿قَدْ﴾ "لتحقيق وقوع المتعلَّق مع المضارع،

تـأكـيـدُ الـعـبـدِ لـنـفـسِـه وقـوعَ لـطـفِ الـلـه؛ لطفٌ لا يقعُ إلّا من مولاه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 10/217.

بشرط تجرُّده من الجازم والنّاصب وحرف التّنفيس، ومع الماضي، وورودها مع المضارع مرادٌ به الماضي، ولذا قيل: إذا دخلت على الماضي اجتمعت لكل فعل متجدّد، ولا تستعمل في أوصاف اللّه؛ فلا يُقال: قد كان اللّه غفورًا رحيمًا"[1]، والافتتاحُ بهذا الحرفِ يُراد منه توكيد الإيتاء لجلبِ الطُّمأنينة في النَّفسِ، فهو ينادي اللّه تعالى، ويُؤكِّد لنفسِه، وهو تأكيد المسرور المغمور بالفرح والحبور.

توجيه التَّعبيرِ بالإيتاء:

نـفـسُ المـؤمـن طُلَعَة إلى الخير

استُعملت مُفردة الإيتاء في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ دون الإعطاء، وذلك لأنَّ إيتاءه سبحانه مشتملٌ على المُلك والعلم؛ وهما أمران معقولان، والإيتاء يختصُّ بأمور الدُّنيا، بخلاف الإعطاء فهو عامٌّ فيهما، وقد "كثُر استعمالُ الإعطاءِ حتَّى صار لا يُطلق إلّا على التَّمليك؛ فيُقال: أعطاه مالًا إذا ملَّكه إيّاه"[2]، والّذي يظهر أنَّ يوسف عليه السلام ذكَر الإيتاء في الدُّنيا وهو يرجو العطاء في الآخرةِ.

نكتة استعمالِ حرف الجر ﴿مِنَ﴾:

معـرفـةُ حقيقةِ الأمـرِ قـائـدةٌ إلى كلِّ خير

﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾ للتّبعيض، وعليه كلمة العلماء جميعًا؛ لأنَّ يوسف عليه السلام لم يُؤتَ مُلك مصر كلَّه، فما أوتيه هو بعضُ مُلك الدّنيا؛ بل بعض ملك مصر، "ولا عَلَّمَهُ إلّا بَعْضَ التَّأْوِيلِ. ويَبْعُدُ قَوْلُ مَنْ جَعَلَ (من) زائِدَةً، أوْ جَعَلَها لِبَيانِ الجِنْسِ، والظّاهِرُ أنَّ المُلْكَ هُنا مُلْكُ مِصْرَ"[3]، "وجَعَلَ الَّذي أوتيَهُ بَعْضًا مِنَ المُلْكِ ومِنَ التَّأْوِيلِ؛ لِأنَّ ما أوتيَهُ بَعْضٌ من جِنْسِ المُلْكِ، وبَعْضٌ مِنَ التَّأْوِيلِ، إشْعارًا بِأنَّ ذَلِكَ في جانِبِ مُلْكِ اللّه، وفي جانِبِ عِلْمِهِ شَيْءٌ قَلِيلٌ"[4].

(1) الزّركشيّ، البرهان: 4/305 - 309.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 176، 175.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/349.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/58.

معنى التّعريف في لفظ ﴿ٱلۡمُلۡكِ﴾:

المُـلـك هـو ما تـسـتـحـضـره الأذهـــان عند الإطلاق

التَّعريف في قوله تعالى: ﴿ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ﴾ للعهد، والمُراد به مُلك مصر المعهود للجميع، وهو عهدٌ عِلميٌّ يعلمه جميع المملوكين، كما يعلمه ويراه أبوه وجميع إخوته الَّذين قصدوه مرّاتٍ ومرّات، والعهد هنا حضوريٌّ؛ لإحضاره هذا المعهود في الأذهان إحضارًا تامًّا، ولم يُذكر هذا المُلك قبل لا صراحةً ولا كنايةً، "أيْ: آتَيْتَني بَعْضَ المُلْكِ؛ لأنَّ المُلْكَ مَجْموعُ تَصَرُّفاتٍ في أمْرِ الرَّعيَّةِ، وكان ليوسُفَ ﷺ من ذَلِكَ الحَظُّ الأوْفَرُ"[1].

سرُّ تقديم ذِكرِ إيتاء المُلك على تعليم التَّأويل:

التَّحدُّث بالنّعم مـــن لـــوازم الاعـتراف بفضل الـلـــه تـعـالى وكرمه

قُدِّم ذكرُ إيتاء المُلك على تعليم تأويل الأحاديث في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾ فإن أُريد "بتعليم تأويلِ الأحاديث تفهيمُ غوامضِ أسرار الكتب الإلهيّة ودقائق سَنَنِ الأنبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسّلام، فالتّرتيبُ ظاهرٌ. وأمّا إن أريد به تعليمُ تعبيرِ الرّؤيا كما هو الظّاهرُ فلعل تقديمَ إيتاءِ المُلك عليه في الذِّكر لأنَّه بمقام تعدادِ النّعم الفائضةِ عليه من الله سبحانه والمُلك أعرقُ في كونه نعمةً من التّعليم المذكور وإن كان ذلك أيضًا نعمةً جليلةً في نفسه، ولا يمكن تمشيةُ هذا الاعتذارِ فيما سبق؛ لأنّ التّعليمَ هناك واردٌ على نهج العلّة الغائيّةِ للتّمكين، فإن حُمل على معنى التّمليك لزم تأخرُه عنه، وأمّا الواقع ههنا فمجردُ التّأخيرِ في الذِّكر والعطف بحرف الواو لا يستدعي ذلك التّرتيبَ في الوجود"[2].

ولمّا كان المقام هنا هو الاعتراف بفضل الله تعالى وكرمه عليه، لزم من هذا الاعتراف أن يذكر ما هو أهمّ أو المقصود الأسمى، وهو

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/58.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/308.

إيتاء المُلك؛ إذ هو الباب لأن يَصْدُق تأويله، وألّا يُكذَّب فيه، نظرًا لما أكرمه الله تعالى به، وهذا يُعَدُّ من باب التَّرقّي.

سرُّ التَّعبير بالتَّعليم دون الإيحاء:

وحـيٌ تعليميٌّ وإيحاء عِلمٍ

جاء التَّعبير بمُفردة التّعليم في قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ دون أن يقول: (وأوحيتَ لي)، وذلك أنَّ تأويل الأحاديث الّتي كانت ليوسف ﷺ هي عبارةٌ عن تعليمٍ بوساطة الوحي، ولمّا كان الوحي تعليمًا في هذا المقام، كان ذكره بعنوانِه هو الأوْلى بالسّياق.

سرُّ ذكر التَّأويل بدلَ التَّعبير:

الـرُّؤيـا بعـد وقـوعـها تأويـل وقبل ذلك تعبيرٌ

لسائلٍ أن يسأل عن سرِّ إيثارِ ﴿تَأْوِيلِ﴾ على (تعبير)، والجواب: أنَّ "تسميةَ التّعبير تأويلًا لأنَّه جُعل المرئيُّ آيلًا إلى ما يذكره المُعبِّرُ بصدد التّعبير ورجْعِه إليه؛ فكأنَّه ﷺ أشارَ بذلك إلى ما سيقع منه من تعبيره لرؤيا صاحبي السّجنِ، ورؤيا المَلِك، وكون ذلك ذريعةً إلى ما يبلّغه الله تعالى إليه من الرّياسة العظمى الّتي عبَّر عنها بإتمام النّعمة"[1].

نكتةُ تسمية الرّؤى بالأحاديث:

اشـتـهـارُ الـرُّؤى في الآفاقِ جعلها أحاديث الأنفسِ والرِّفاق

سُميت الرّؤى بالأحاديث باعتبارِ اشتهارِها بين النّاس، فرؤيا صاحبي السّجن ورؤيا المَلك من أشهر الرّؤى الّتي عرفها النّاس، وأصبحوا يتحدَّثون بها في مجالسهم، لا سيَّما بعد وقوعها، فهي أحاديث عن الرّؤى، فاشتهار الرّؤى بين النّاس، وبيان صدق نبيّ الله يوسف ﷺ في تعبيرِها ووقوعها، هو بمثابة الدَّعوة إلى الله تعالى، فكما أنَّ القرآن الكريم أصبح حديث الأمم، فكذلك رؤى يوسف ﷺ كانت حديث الأمم بعد تأويلِها ووقوعها.

نكتةُ استعمالِ ﴿فَاطِرَ﴾:

اتِّساقُ المفردات الـقـرآنـيّـة في سياقِها مظهرٌ بـديـعٌ في لغةِ القرآن

قالَ أهْلُ اللُّغَةِ: أصْلُ الفَطْرِ في اللُّغَةِ؛ الشَّقُّ، يُقالُ: فطَرَ ناب البعير إذ بَدا، وفَطَرْتُ الشَّيْءَ فانْفَطَرَ؛ أيْ: شَقَقْتُهُ فانْشَقَّ، هَذا

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/254.

أَصْلُهُ في اللُّغَةِ، ثُمَّ صارَ عِبارَةً عَنِ الإيجادِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ حالَ عَدَمِهِ كَأَنَّهُ في ظُلْمَةٍ وخَفاءٍ، فلَمّا دَخَلَ في الوُجودِ صارَ كَأَنَّهُ انْشَقَّ عَنِ العَدَمِ، وخَرَجَ ذَلِكَ الشَّيْءُ مِنْهُ[1]، فاستعمالُ (فاطر) فيه إشارةٌ إلى الخَلْقِ من العدم والظّلمة والخفاء، وهو مناسبٌ لذِكْرِ الرّؤى الّتي تكون في الظُّلمة والخفاء، فمناسبتها مناسبةٌ من حيث اختيار المُفردة في مكانها المناسب.

نكتة جمع ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وإفراد ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾:

شرفُ السّماوات يلج في السّمع بغير استئذان لنصاعته وعذوبته

جمع البيانُ القرآنيُّ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ وأفرد ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ مع أنّها على ما تقتضيه النّصوص متعددةٌ أيضًا، والمؤاخاة بين الألفاظ من مُحسّنات الكلام، فإذا جُمِع أحد المتقابلَيْن أو نحوهما؛ ينبغي أن يُجمَع الآخر عندهم[2]، وقد كثُر الكلامُ في نكتةِ جمع (السّماء) وإفراد (الأرض)، ويقوم في غالبه على التَّوجيه اللَّفظي[3]، وقد قدَّم كثيرٌ من المُفسّرين أجوبةً على ذلك، فمنها: "الإشارة إلى تفاوتهما في الشّرَف، فجمع الأشرف اعتناءً بسائر أفراده، وأفرد غير الأشرف. وأشرفيّة السّماء لأنّها محلّ الملائكة المُقدّسين على تفاوت مراتبهم، وقِبلة الدّعاء، ومعراج الأرواح الطّاهرة، ولعظمها وإحاطتها بالأرض على القول بكرويّتها الذّاهب إليه بعضٌ منّا، وعِظَم آيات الله فيها، ولأنّها لم يُعصَ الله تعالى فيها أصلًا، وفيها الجنّة الّتي هي مقرّ الأحباب ولغير ذلك. والأرض وإن كانت دارَ تكليف ومحلّ الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فليس ذلك إلّا للتّبليغ، وكسب ما يجعلهم متأهّلين للإقامة في حَضيرة القُدُس، لأنّها ليست بدارِ قرارٍ"[4].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/222، 221.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 4/77.
(3) ابن قيّم الجوزيّة، بدائع الفوائد: 1/115، 114.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 4/77.

بديعُ فنِّ الطِّباق: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾:

إحاطة الله تعالى بمخلوقاته واقتداره عليها

الطِّباق هو الجمع بين الشّيء وضدِّه، اسمين كانا أو فعلَيْن أو حرفَيْن، وما ورد في الآية فهو طباق بين اسمَيْن: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من وادي العُلوِّ، و﴿وَٱلۡأَرۡضِ﴾ من وادي السُّفْل والتَّحتْ، ويُضربان مثلًا للبُعد بين الأشياء كناية عن بُعد المكانة والمنزلة في الأولى، وانحطاطها وقُربها في الثّانية، وهو طباق إيجاب لا نفي فيه.

فائدة تقديم المُسنَد إليه ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ﴾:

مَن كان الله وليَّه فلا يُخشَى عليه

مجيءُ المُسنَدِ إليه في قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ ضمير المُتكلِّم ﴿أَنتَ﴾ لإحداث تشويقٍ لدى المخاطَب إلى معرفة الخبر (المُسنَد)، مع كون المُسنَد إليه مُثبتًا لا منفيًّا؛ فإنَّ التَّقديمَ أفاد تقويةَ الحُكم، ويرى بعضُهم أنَّه يُفيدُ التَّخصيصَ مع التَّقوية، والسّياق يدلُّ على التَّخصيص.

بلاغةُ إيراد الخَبر وإرادةِ الإنشاء:

معتقدُ المؤمنِ أصلٌ في الدُّعاءِ وركنٌ في الالتجاءِ

جاءتْ جملةُ "﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ من قَبيلِ الخَبَرِ في إنْشاءِ الدُّعاءِ، وإنْ أمْكَنَ حَمْلُهُ على الإخْبارِ بالنِّسْبَةِ لِوِلايَةِ الدُّنْيا، قيلَ لإثْباتِهِ ذَلِكَ الشَّيْءَ لِوِلايَةِ الآخِرَةِ. فالمَعْنَى: كُنْ وليّي في الدُّنْيا والآخِرَةِ"[1]، وهذا من بديعِ الدُّعاء بالإخبارِ، فهو جمعٌ بين الإقرارِ بالمُعتقد، والدُّعاء به لتحقيق الولاية الدُّنيويَّة بالرِّعاية والنُّصرة، والولاية الأخرويّة بالرِّضوان والفوز بالجِنان.

نكتة ذكرِ الصِّفةِ دون الموصوف:

الدُّنيا وسيلةٌ موصلةٌ للغايةِ العظمى وهي الآخرةُ

أراد ﷺ بالدُّنيا في قوله تعالى: ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ الحياةَ الدُّنيا، والله سبحانه لم يذكر الدُّنيا إلّا مقلِّلًا لها، ومُحقِّرًا لشأنها، فلم يذكر هنا الموصوف وهو الحياة؛ لأنَّ غالبَ استعمال

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/58.

القرآن لهذا التَّركيب الوصفيّ (الحياة الدّنيا) جاء في سياق ذمِّ الدُّنيا، أمّا هنا فهو طلبُ الولاية فيها، فذكر الدُّنيا لا باعتبارِها حياةً مُرضيةً مطلوبةً، بل باعتبارِها وسيلةً موصلةً إلى الدّار الآخرةِ الّتي هي غاية المؤمنين في قلوبِهم وعقولهم.

فنُّ الطِّباق: ﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾:

قوله تعالى: ﴿ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ طباقٌ بين اسمَيْن مختلفَيْن، أحدهما من وادٍ قريب يعيشه الإنسان؛ وهو "الدُّنيا"، والآخر من واد بعيد غيبيٍّ لا يراه الإنسان الآن؛ وهو (الآخرة)، فبينهما طباقُ إيجابٍ لا نفي فيه، وأفاد التَّعبير بالطِّباق أن يوسف ﷺ جعل الله تعالى وليَّه في أوَّل الأمر وآخره، ممّا يعكس تسليمه الكامل المُطلق لله تعالى في شأنه كلِّه.

ولايةُ الله شاملةٌ للزَّمان كلِّه دنيا وأُخرى

بلاغةُ اختيارِ فعلِ ﴿تَوَفَّنِي﴾ دون (أمِتْني):

في دعاء يوسف ﷺ ﴿تَوَفَّنِي﴾ آثر ذِكرَ التَّوفّي، ولم يتمنَّ نبيّ الله يوسف ﷺ الموتَ، بأن يقول: (أمِتْني)؛ وذلك لابتعادِه عن دائرةِ الضّجرِ، ولكن تمنَّى وفاته على الإسلام؛ بمعنى: إذا جاء أجلي وحضرتْ منيَّتي؛ فيا ربِّ توفَّني إليك مسلمًا، كما أراد أن تُقبض روحه وافيةً تامَّة غير منقوصة بجميع أُمورها حسًّا ومعنًى؛ فأشارَ بقَوْلِه: ﴿تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا﴾ إلى "النِّعْمَةِ العُظْمَى؛ وهيَ نِعْمَةُ الدّينِ الحَقِّ، فإنَّ طَلَبَ تَوَفّيهِ على الدّينِ الحَقِّ يَقْتَضي أنَّهُ مُتَّصِفٌ بِالدّينِ الحَقِّ المُعَبَّرِ عَنْهُ بِالإسْلامِ مِنَ الآن، فهوَ يَسْأَلُ الدَّوامَ عَلَيْهِ إلى الوَفاةِ"[1]، فهو دعاءٌ بالتَّوفية على الإسلام، لا دعاءٌ بطلبِ الموتِ الآن.

دعاءٌ بليغٌ في التَّوفية على الإسلام، لا دعاء بطلبِ الموت الآن

فائدة التَّعبير بـ ﴿مُسۡلِمٗا﴾ دون (مؤمنًا):

ليس المُراد بالإسلام في قوله تعالى: ﴿مُسۡلِمٗا﴾ الإسلامَ المعهود بأركانه المعلومة للعامَّة، وإنَّما المُرادُ به إسلامَ الوجه لله تعالى

الكمال أن يستسلم المؤمن لحُكم الله تعالى استسلامًا زائدًا عن الإسلام

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/60.

إسلامًا خالصًا حُكمًا ومعنًى، فإذا كان كذلك حقَّق الإسلام بجميع مطلوباته، قال تعالى: ﴿*وَمَن يُسۡلِمۡ وَجۡهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٢٢﴾ [لقمان: 22]، فإنَّ كمال حال المسلم: "أن يستسلم لحُكم الله على وجهٍ يستقرُّ قلبه على ذلك الإسلام، ويرضى بقضاء الله، وتطمئنّ النّفس، وينشرح الصّدر في هذا الباب، وهذه حالةٌ زائدة عن الإسلام الّذي هو ضدُّ الكفر، والمطلوب هاهنا هو الإسلام بهذا المعنى"[1].

دلالة العطف: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي﴾:

عُطفت هذه الجملة ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ على سابقتها لتغايرهما في المعنى، وبينهما جامع يجمعهما، كما أنّهما اتّفقتا في الإنشائيّة، فكلتاهما طلبٌ ودعاء، ومن هنا وُصلت بها، ويدلُّ هذا العطف على قوَّة رجاء يوسف عليه السلام وحُسن ثقته بربِّه عزّ وجلّ.

حُسن ثقتك بمولاك تدعوك لطلبِ ما يجولُ في هواك

بلاغةُ الكنايةِ في استعمالِ ﴿وَأَلۡحِقۡنِي﴾:

الإلحاق في قوله تعالى: ﴿وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ "حَقيقَتُهُ: جعلُ الشَّيْء لاحقًا؛ أيْ: مُدْرِكًا مَنْ سَبَقَهُ في السَّيْرِ"[2]، يُقال: لحقتُه ولحقتُ به: أدركتُه، وكنتُ مدركًا مَن سبقني، فالإلحاقُ هو باعتبارِ الزَّمن لا باعتبارِ الرُّتبة، فهم سابقون وهو بهم لاحق، وقد أراد نبيّ الله يوسف عليه السلام اللَّحاق بآبائه الكرام: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام؛ أي: اجعلني في زمرتهم، والتَّعبير باللَّحاقِ ونبيُّ الله يوسف منهم دليل التَّواضع والانتسابِ والانتماء، فإنَّ العبدَ يزدادُ تواضعًا إن ترقَّى في سلَّم العبوديَّة، وارتفع في دَرَج الإحسان، وفيه إثباتُ النَّجاة للصّالحين في الآخرةِ، فهذا الدُّعاءُ كنايةٌ عن طلبِ النَّجاةِ.

تواضعُ العبدِ ثمرةُ العبوديَّة وجَنَى الصَّلاح

(1) ابن عادل، اللّباب: 10/220.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/60.

دلالة الباء في: ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

الباء في قوله تعالى: ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ للمصاحبة، وهي بمعنى (مع)، وتُسمَّى باء الحال، أراد يوسف ﷺ هنا مصاحبته لآبائه الكرام في دار الكرامة والنَّعيم، ومحبَّة الصّالحين فلاح، وطلبُه اللَّحاق بهؤلاء الكرام هضمٌ لنفسه؛ فسبيله سبيلهم، ومنهجه منهجهم؛ والمُراد: "ألحقني بهم في ثوابهم ومراتبهم ودرجاتهم"[1].

محبَّة الصّالحين فلاح

معنى الجمع والتَّعريف: ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ للجنس الاستغراقيّ إذْ كان ﷺ جمع الأفراد الصّالحين، فتكون (أل) هنا للاستغراق الحقيقيِّ الّذي يشمل جميع أفراد الخلق الصّالحين، جمَعَهم تعظيمًا وتشريفًا لمنزلتهم ورفعة أقدارهم، وما عليه كلمة الأكثرين أنَّها للعهد، وأراد بهم المعهودين المعلومين بالصَّلاح، وهم آباؤه الكرام ﷺ، "فإنْ كان يوسُفُ ﷺ يَوْمئِذٍ نبيًّا فدُعاؤُهُ لِطَلَبِ الدَّوام على ذَلِكَ، وإن كان نُبِّئَ فيما بَعْدُ؛ فهوَ دُعاء لحصوله، وقد صار نبيًّا بعد ورسولًا"[2].

من عظيم التّواضع أن تغترفَ من صلاح مَن سبقك

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

(فاطر) و(خالق):

الفاءُ والطّاءُ والرّاءُ أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على فتْحِ شَيْءٍ وإبْرازِهِ، من ذَلِكَ الفِطْرُ مِنَ الصَّوْمِ[3]، وأصله: الشّقُّ طولًا، يُقال: فطَرَ فلانٌ كذا فطْرًا، وأفْطَرَ هو فُطورًا، وانْفَطَرَ انْفِطارًا، وفَطَرْتُ الشّاة: حلبتُها بإصبعيْن، وقيل للكَمْأة: فُطْر، من حيث إنّها تَفْطِرُ الأرض فتخرج منها[4]، فالفَطْر هو الشَّق والحفر بقصد استخراجِ شيءٍ،

الفَطر هو إيجادٌ من عَدَمٍ، والخَلق تقديرُ الشَّيءِ بعد إيجادِه

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/226.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 13/60.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (فطر).
(4) الرّاغب، المُفردات: (فطر).

هذا أصله، وقد استُعمل في فطر السّماوات والأرض وفي إخراجها من العدم على غير مثالٍ سابق.

وأمّا الخلق فهو يدلُّ على تَقْديرِ الشَّيْءِ، ومنه: خَلَقْتُ الأديمَ لِلسِّقاءِ، إذا قَدَرْتَهُ، ومن ذَلِكَ الخُلُقِ، وهيَ السَّجيَّةُ؛ لِأنَّ صاحِبَهُ قَدْ قُدِّر عَلَيْهِ[1]، وأصل الخَلقِ: التّقدير المستقيم، ويُستعمل في إبداع الشّيء من غير أصلٍ ولا احتذاء، قال: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: 1]؛ أيْ: أبدعهما، ويُستعمل في إيجاد الشّيء من الشّيْء نحو: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ [النّساء: 1]، وليس الخَلْقُ الّذي هو الإبداع إلّا للّه تعالى، وأمّا الذي يكون بالاستحالة؛ فقد جعله اللّه تعالى لغيره في بعض الأحوال، كعيسى ﷺ حيث قال: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي﴾ [المائدة: 110][2].

فالخَلق يُغلَّب في التَّقدير، هذا أصله، واستعماله في خلق السّماوات والأرض باعتبارِ إيجادهما مقدرتيْن، فالفرق بين (فاطر) و(خالق)، أنَّ الفَطر ملحوظٌ فيه الشَّق والإخراج من عَدَمٍ، وأمّا الخلق فملحوظٌ فيه التَّقدير.

الوفاة والموت:

الموت نهاية الحياةِ، والوفاة ملحوظٌ فيها توفية الحي العمر والرّزق

الوفاةُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ على إكْمالٍ وإتْمام. مِنْهُ الوَفاءُ: إتْمامُ العَهْدِ وإكْمالُ الشَّرْطِ. ووَفَى: أوْفَى، فهوَ وفيٌّ. ويَقولونَ: أوْفَيْتُكَ الشَّيْءَ، إذا قَضَيْتَهُ إيّاهُ وافيًا. وتَوَفَّيْتُ الشَّيْءَ واسْتَوْفَيْتُهُ؛ إذا أخَذْتَهُ كُلَّهُ حَتَّى لَم تَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا. ومِنْهُ يُقالُ لِلْمَيِّتِ: تَوَفّاهُ اللّه[3]، فالوفاة ملحوظٌ فيها توفية الأمر على تمامه دون نقصان، ومنه توفية الإنسان إذا مات؛ أيْ: عمره ورزقه.

أمّا الموت فهو يَدُلُّ على ذَهابِ القوَّةِ مِنَ الشَّيْءِ، ومِنْهُ المَوْتُ: خِلافُ الحَياةِ[4]، وهو اسمٌ علمٍ على نهاية الكائن الحيِّ.

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلق).
(2) الرّاغب، المُفردات: (خلق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وفَى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (موت).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 23 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-20-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 23 : المجلد الثالث والعشرون، سورة يوسف من الآية 56 إلى سورة الرّعد الآية 15.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-20-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8086351 بتاريخ 2024/02/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»